من مراسلات الأمير عبد القادر إلى بواسوني

الدكتور عميراوي احميده

جامعة الأمير عبد القادر

تمهيد

تبادل الأمير عبد القادر منذ أن بويع أميرا على بلاد الجزائر عام 1832 إلى أن توفي عام 1883 عديدا من المراسلات مع أطراف كثيرة؛ جزائرية ومغربية وتونسية ومصرية وعثمانية سلطانية وبريطانية وإسبانية وفرنسية وغيرها. وتناولت هذه المراسلات موضوعات متنوعة؛ اجتماعية وفقهية وسياسية. ونحاول في هذا الصدد عرض جانب منها؛ والمتمثل في مراسلاته إلى طرف فرنسي هو بواسوني.

مراسلته إلى بواسوني BOISSONNET

من المتعارَف عليه أن للمستشرقين دورا كبيرا في عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر. إذ هاجر كثير من المصريين والشوام والمترجمين إلى فرنسا ومنها إلى الجزائر. وبجانب هؤلاء الشوام كان كثير من الفرنسيين ومنهم دي لابورت (Delaporte)[1] الذي عين محافظا مدنيا في الجزائر يوم 10 ديسمبر 1831 ثم مترجما لرئيس الجيش الإفريقي عام 1832. وفي سنة

1 - اسمه جاك دينيس (Jaques Denis) ولد في طرابلس الغرب عام 1777 وهو ابن قنصل فرنسي، لعبت أسرته دورا كبيرا في العلاقات بين فرنسا والدول الإسلامية. أحيل على التقاعد سنة 1841.

1836 مدير الشؤون العربية. وقد سمح له بإنشاء مكتب الإحسان وأسندت له مهام تسيير الحُبس للمسجد الكبير.

ومنهم بواسوني الذي يُعدُّ أحدَ الضباط الفرنسيين المستشرقين الذين ساهموا في توجيه السياسة الفرنسية. فهو من الذين أسسوا المكتب العربي في مدينة قسنطينة في الأربعينيات من القرن التاسع عشر. وهو الذي عمل على كسب مودة الأعيان الجزائريين وتقريبهم للصف الفرنسي. إذ سعى ليكون محمد الشاذلي[1] برفقة الأمير عبد القادر يؤانسه في منفاه بفرنسا خلفا لبوسوني. وتحقق اتصال الشاذلي بالأمير عبد القادر بداية من سبتمبر 1849. ويبدو أن الدافع لاختيار الشاذلي ليقوم بهذه المهمة ينحصر في أنه يعد من خيرة العلماء الأكفاء ليكون موضع رضى الأمير عبد القادر. وأيضا أن الشاذلي كانت تطمئن إليه السلطة الفرنسية لاقتناعه بما للحضارة الأوروبية من فائدة.

فالمراسلات التي نحن بصدد عرضها كانت من الأمير عبد القادر الجزائري المحب للإنسانية[2]، والمنفي في بلاد الغربة تحت ضغط مقتضيات السياسة والمصلحة الفرنسية إلى

1ــ ينتمي الشاذلي القسنطيني (1807ــ 1877) إلى قبيلة البوازيد من أولاد صاولة من وطن الأوراس أصلا. فهو من الشخصيات الجزائرية التي تعلمت في قسنطينة على يد علماء أجلاء أمثال الشيخ محمد بن سالم والشيخ محمد العباسي (ت 1835). وترك الشاذلي بصماته في تاريخ العلاقات الفرنسيةــالجزائرية؛ إذ تقلد مهاما كثيرة ووظفته السلطة الفرنسية في أمور كثيرة. حيث تولى وظيفة القضاء المالكي بمدينة قسنطينة عام 1840 في المكتب العربي تحت رئاسة الضابط بواسوني. ومديرا للمدرسة العربيةــالفرنسية مدة 27 سنة في قسنطينة بإيعاز من إسماعيل أوربان (لمعرفة شيء عن إسماعيل يراجع ما كتبناه بعنوان: "إسماعيل عربان والسياسة الفرنسية في الجزائر"، **سيرتا** ، العدد 4، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1981 ص ــ ص. 71 ــ 80.

2ــ للأمير عبد القادر صفات إنسانية قلما وجدت لدى غيره وقد عبر عن جانب منها بقوله:

الحمد لله الذي قد خصني &&& بصفات كل الناس لا النسناس =

بواسوني الذي كان في خدمة بلاده ساعيا لكسب صف خيرة الأعيان الجزائريين إلى قوة فرنسا، ولتحقيق هذا الغرض رافق الأمير منذ عام 1848 إلى 1849. وقد استفاد الأمير منه في شيئين على الأقل وهما تكوين شبكة من العلاقات مع رجال لهم فعل في الحياة السياسية والفكرية. والنفاذ إلى عمق الحضارة الغربية بواسطة ما كان يترجم له بواسوني.

وبرغم أن المرسلات المعروضة في هذا الموضوع تبدو شكلية لكونها اقتصرت على المجاملات والأمور الشخصية؛ لكنها تكشف جوانب خفية في نفسية الأمير. مثلما تتضمن حقائق تاريخية وتبين قوة الصلة التي تكونت بين الأمير وبواسوني. ومن أقوى الاحتمالات أنها كانت بخط الأمير نفسه. وبالمقابل لم نتمكن من العثور على مراسلات من بواسوني إلى الأمير عبد القادر برغم وجود بعض إشارات تبين حصول ذلك ومنها قول الأمير له "وانه بلغنا كتابكم وفرحنا به".

= الجود والعلم النفيس وإنني &&& لأنا الصبور لدى اشتداد الباس

وتحدثي شكرا لنعمة خالقي &&& إذ كان في ضمني جميع الناس

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري &&& فليس يريك الرسم صورتنا العظمى

فثم وراء الرسم شخص محجب &&& له همة تعلو بإخمصه النجما

وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره &&& ولكنه بالعقل والخلق الأسمى

وإن جمعت للمرء هذي وهذه &&& فذاك الذي لا يبتغي بعدها نعمى

لمزيد من المعلومات يراجع: نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، الطبعة الثانية، منشورات مؤسسة الأمير عبد القادر، دار الأمة، الجزائر 2001.

مراسلة رقم 1 من الأمير عبد القادر

الحمد لله سبحانه وتعالى[1]

سعادة المحب الكامل والصديق الفاضل السيد البارون الكرونيل ابوسنه جعل الله سعادتكم دايمة وخيراتكم ملازمة أما بعد السلام والسوال عن أحوالكم وعن الأهل والأولاد فإننا بخير وعافية نطلب الله لكم العافية الدايمة ونخبر سعادتكم أننا كنا طلبنا من السيّد الشاذلي[2] كتاب القوانين[3] سابقا واخبرنا أنه انتسخه[4] لذا فالمامول من محبتكم أن تطلبوا الكتاب منه وترسلوه لنا فإننا محتاجون إليه ونعرض عليكم امرا ونرجوا منكم أن تشيروا علينا بما يظهر لكم صوابه وهو أننا أردنا تزويج ولدكم محي الدين[5] وابنتكم. آمين. وما عندنا الكفاية في ذلك فهل يحسن عندكم إننا نطلب من السلطان نابليون الإعانة في ذلك أم لا. فاشر علينا بما تراه صوابا وهل الكتابة إلى الوزير أم إلى السلطان إن ظهر لكم صوابها ونخبركم انه ولد لنا بعد فراقكم ثلاثة أولاد سمنا واحدا عبد الله والآخر أبا بكر والآخر علي وولد لولدكم محمد بنت سميناها عايشة ونرجوا جوابكم والسلام من عبد القادر ابن محي الدين.

منتصف شوال (1283هـ)

---

1 -مراسلة الأمير إلى بواسوني، مصلحة المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

2- المقصود هو محمد الشاذلي القسنطيني

3- كان الأمير شغوفا بالمطالعة. ولعل كتاب القوانين الذي يقصده الأمير هو قوانين فيتال ذي الشهرة آنذاك

4- لم تسبق لنا معرفة في أن محمد الشاذلي القسنطيني قد استنسخ كتابا بالفرنسية. وأن المعروف عنه إنه لا يجيد اللغة الفرنسية إلاّ بالقدر الذي يساعده على فهم جوانب منها.

5- محي الدين هو ابن الأمير عبد القادر

يوجد في آخر المراسلة ختم الأمير دائريا ومكتوبا عليه عبد القادر ابن محي الدين

تتبين من هذه المراسلة علاقة الأمير ببواسوني الحميمية لهذا استشاره في أمـــــور خاصة به. ويتبين أيضا شغف الأمير لمطالعة الكتب القانونية الفرنسية. مثلما تعرفنا هذه المراسلة بأسماء عدد أفراد أسرة الأمير. ومدى التزامه بالسلف الصالح لاختار الأسمــــاء الشريفة لأبنائه.

مراسلة رقم 1

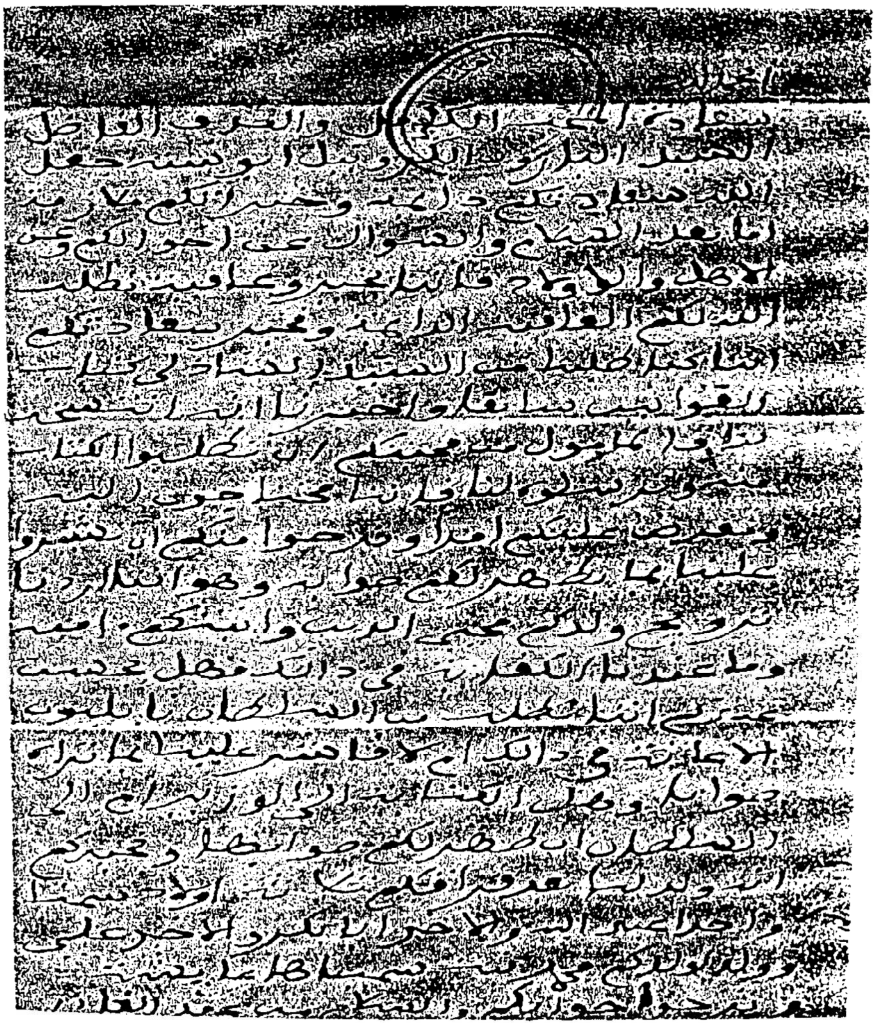

مراسلة رقم 2

الحمد لله سبحانه وتعالى[1]

حضرة محبنا المعظم المحترم السيد الكرونيل بوصيني حفظكم الله ورعاكم وسلام تام على علي مقامكم ورحمة الله وبركاته وبعد السوال عن المرضية أحوالكم اجراها موعدنا على وفق مرادكم إننا بخير ووصلنا أهلنا وأولادنا بخير ووجدناهم كذلك إلا بنت لنا صغيره وابن ولدنا السيد محي الدين وأم البنت توفوا بالريح الأصفر[2] عظم الله أجرنا فيهم وقد رفعه الله من هذا البلد بالحمد لهم على ذلك هذا وانه بلغنا كتابكم وفرحنا به وترانا تكلمنا على مصلحتكم وأوصينا المحب السيد الجنرال فلوري عليها وتكفل لنا بقضاياكم لها إن شاء الله ودمتم في حفظ الله والسلام.

وفي عشر جمادى الأولى عام 1283 وأولادنا السيد محمد والسيد محي الدين والسيد الهاشمي والسيد إبراهيم[3] واخوتهم يسلمون عليكم كثيرا ويدعون لكم بالصحة وطول العمر والسلام. المخلص عبد القادر ابن محي الدين.

---

1 - مراسلة الأمير إلى بواسيني، مصلحة المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

2- هو وباء الكوليرا الذي اجتاح آسيا في هذا التاريخ وتسبب في وفاة كثير من أفراد جيش الباب العالي إلى درجة يمكن اعتباره أحدَ الأسباب التي أضعفت الإمبراطورية العثمانية.

3- يكون أولاد الأمير عبد القادر في هذا التاريخ هم محمد ومحي الدين والهاشمي وإبراهيم وعبد الله وأبو بكر وعلي

مراسلة رقم 2

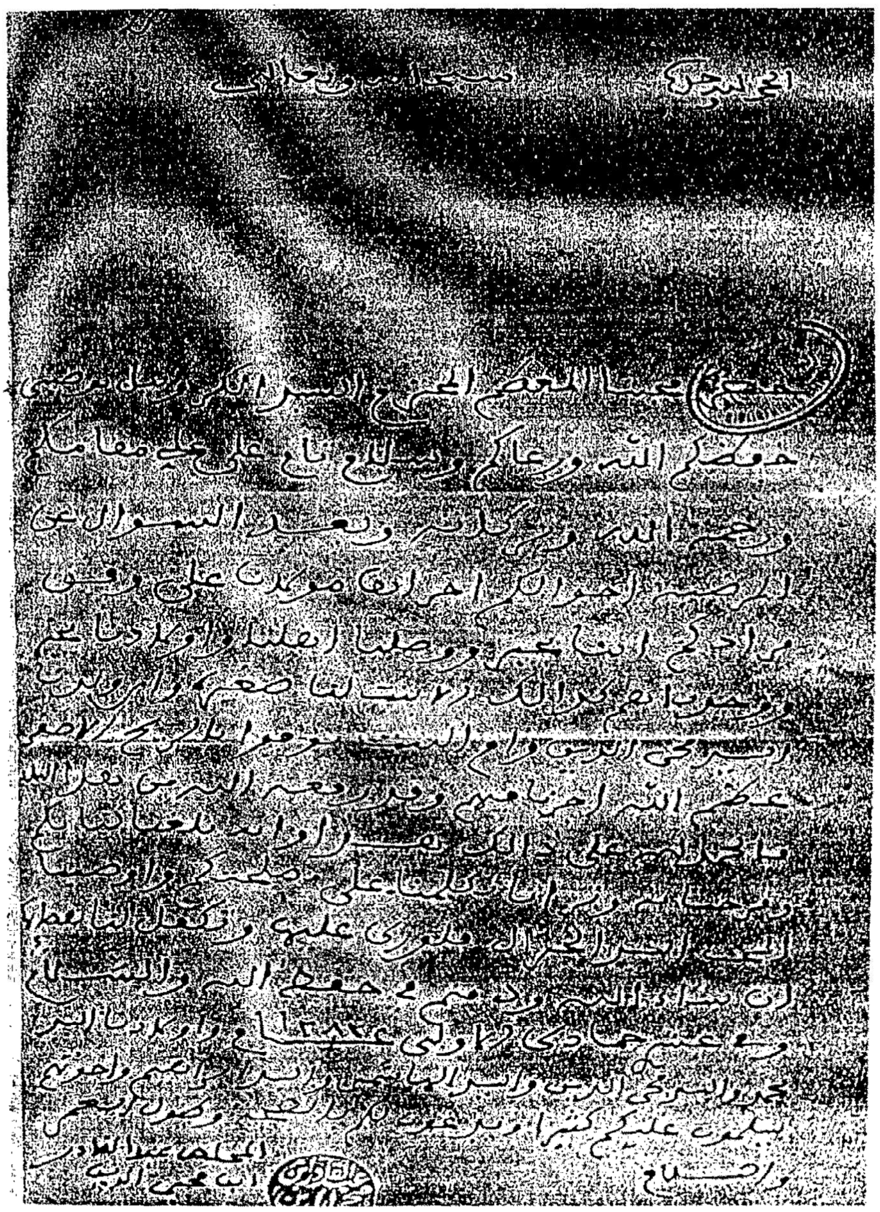

مراسلة رقم 3

الحمد لله[1]

المحب الصادق والخليل الموافق الذي هو بمكارم الأخلاق متخلــق وبالخصــال الحميدة متحقق البارون السيد بواسنى أهدى إلى جنابه تحيات وافره وأزكى تسليمات زاهرة وبعد فمن مدة مديده وازمنة عديدة ما رأينا منكم كتابا ولا سمعنا عنكم خطابــا مع أنه لا يخفى أن المراسلة نصف المواصلة وأنها سنة الأحباب التي مضى عليها عملــهم ونيط بها أملهم وحضوا عليها قديما وحديثا إذ المحبة تحث عليها حثيثا فــالمرجو أن لا تقطعوا عنا مكاتبكم اللطيفة وخطاباتكم الظريفة جريا على العوايد الحسنة والقوانــين المستحسنة وأن سالتم عنا فنحن والحمد لله في نعم لا تحصى ومنى لا تستقصى نســال الله دوامها وأن يرزقنا الشكر عليها بمنه وكرمه وسلم منا على جميع أهل محبتنا ودمتــم محفوظين. المخلص عبد القادر

في غرة جمادى الأولى سنة 1283

1- الأمير إلى بواسيني، مصلحة المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

مراسلة رقم 3

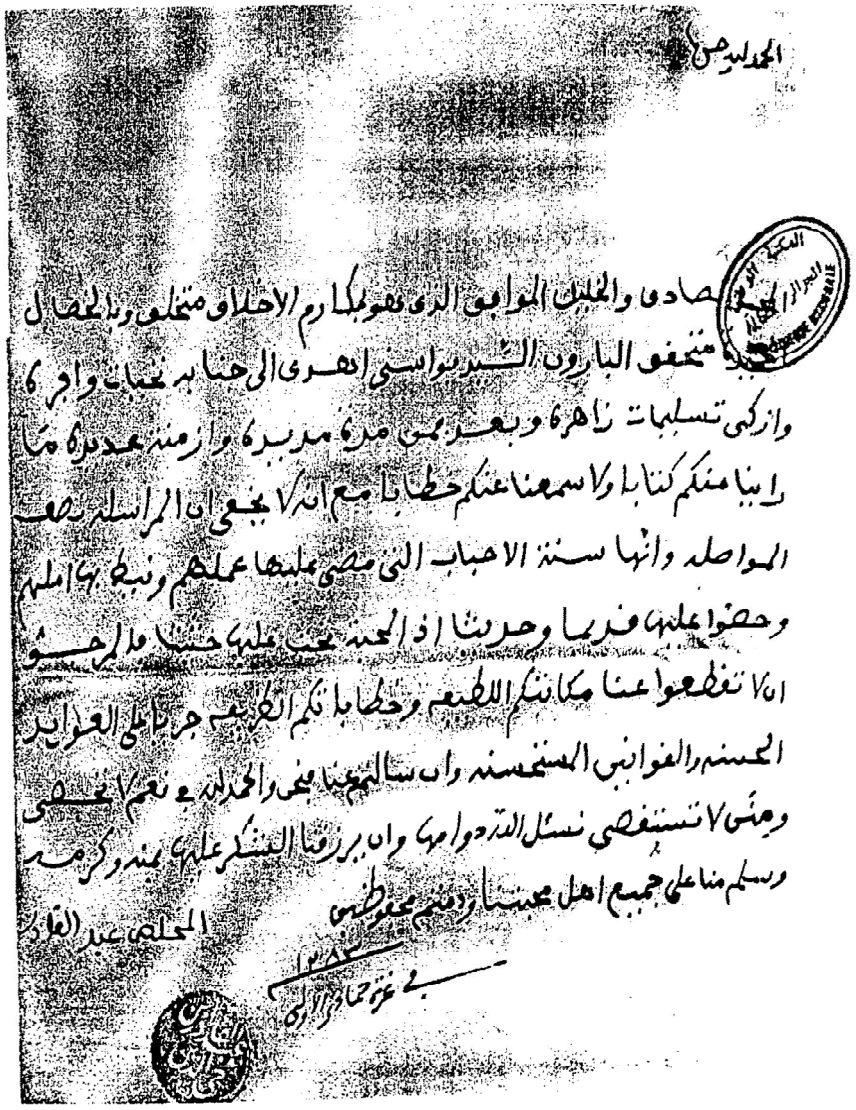

الحمد لله وحده

الصادق والخليل الموافق الذي تقوم بكارم الاخلاق متخلق وبالخصائل
متحقق البارون الـ[illegible] ادامه الى حبابه نجابة واجرى
وازكى تسليمات زاهرة وبعد مني مدة مديدة وازمنة عديدة ما
اتينا منكم كتابا ولا سمعنا عنكم خطابا مع انه لا ينبغي ان الرسالة تنقطع
المواصلة وانها سنة الاحباب التي ينبغي عليها عملهم ونبطها املهم
وحضوا عليها قديما وحديثا اذ المحبة تحتاج عليها حثا والرجوع
ان لا تقطعوا عنا مكاتبكم اللطيفة وخطابكم الشريفة جريا على العوائد
الحسنة والفوائد المستحسنة وان سالتم عنا فنحن والحمد لله بنعم لا تحصى
ومنن لا تستقصى نسئل الله دوامها وان يرزقنا الشكر عليها بمنه وكرمه
وسلم منا على جميع اهل محبتنا ومن يخصنا

الحاج عبد القادر

بتاريخ غرة جمادى الاولى ١٢٨٣

مراسلة رقم 4

الحمد لله[1]

أسعد الله سعودا دايما وجعل الانعام والافضال ملازما لحضـــرة المحـــب الأوفى والخل الأصغى السيد البارون الكرونيل أبي سنة أما بعد السوال عن ذاتكم الشـــريفة وعن الأهل والأولاد والأخوان من الكاتب والوالدة والأولاد وأمهم وساير أهلنا فانـــا نبارك لكم ونهنوكم بدخول العام ونسال من الله تعلى لكم فيه وفيما بعده غاية الانعام وبلوغ المرام والتمتع بالأهل والبنين في أرغد عيش وأهناه وأنكم قطعتم عنا أخبـــاركم ومكاتبكم منذ مدة مديدة وكاتبناكم مرارا وما رأينا جوابا نرجوا أن يكون المانع خيرا والسلام من المحب عبد القادر بن محي الدين. لثمان مصيف من جمادى الثانية 1276.

ولابد تخبرونا عن محبنا الشاذلي[2] كيف حاله فإنه ما كتبنا أبدا

ويسلم عليكم وعلى زوجتكم ويبارك لكم في العام الجديد ويسأل الله لكم فيه غاية الانعام وبلوغ المرام عوض ابنكم محمد بن عبد القادر[3].

1- الأمير إلى بواسيني، مصلحة المخطوطات، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر العاصمة.

2- توطدت العلاقة بين الأمير عبد القادر ومحمد الشاذلي ابتداء من عام 1849 إلى درجة أن رغب الأمـير في أن يصاحبه إلى بروسة ليؤديا فريضة الحج سويا. وقد كتب الأمير رسميا إلى السلطة الفرنسية كي تسمح لمحمد الشاذلي بذلك. لكن المسعى لم يتحقق وبقي محمد الشاذلي في قسنطينة يشغل وظيفة مدير المدرســة العربية-الفرنسية. وهي المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي ورممها الفرنسيون وتـولى إدارتهـا محمـد الشاذلي. وسافر الأمير إلى بروسة أواخر عام 1852 من دونه. وبقي الأمير في بروسة إلى غاية عام 1855.

3- هذان السطران الأخيران مكتوبان بخط مميز من غير المستبعد أن يكونا بخط محمد بن الأمير.

مراسلة رقم 4

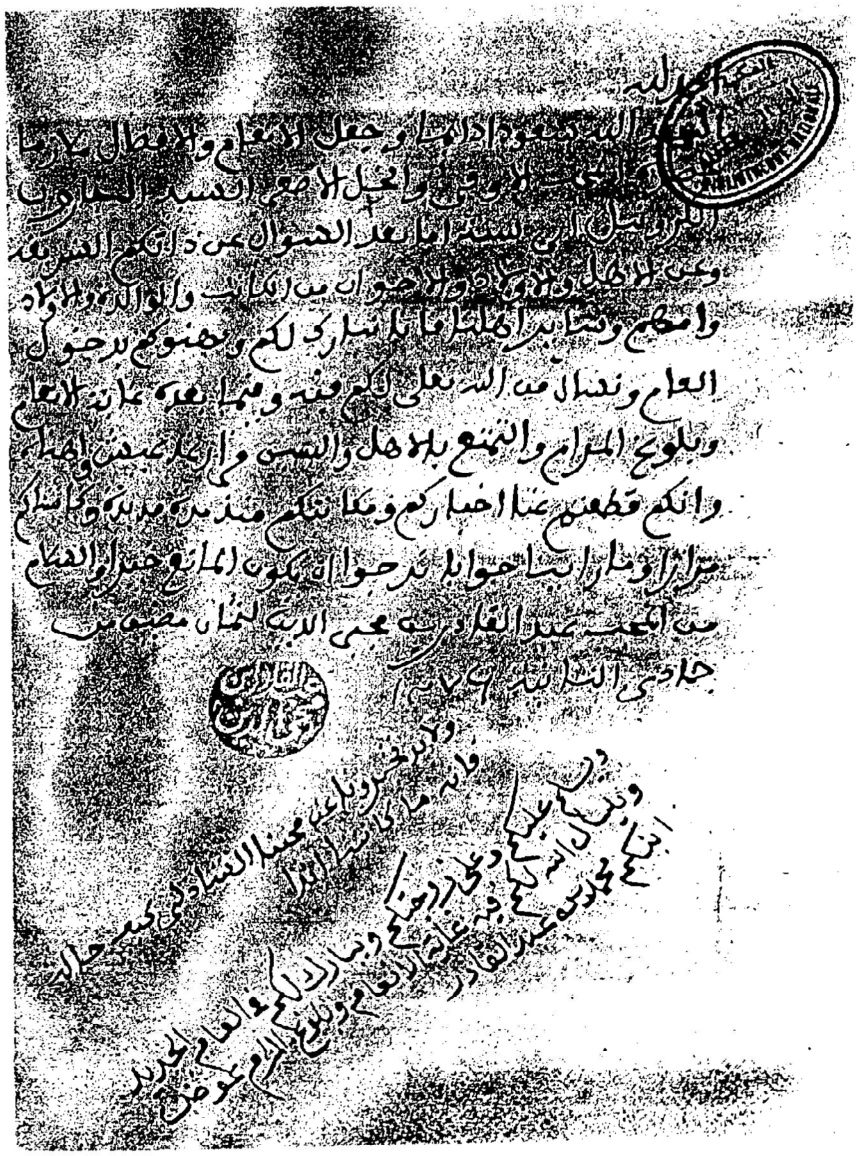
الحمد لله
[illegible] وجعل الانعام والافضال [illegible]
[illegible] واجل الاصغر السيد [illegible]
[illegible] اما بعد السؤال عن ذاتكم الشريفة
وعن الاهل [illegible] والاخوان من [illegible] والوالدة والاولاد
[illegible] ما [illegible] يبارك لكم ويهنؤكم بدخول
العام ونسأل من الله تعالى لكم [illegible] وفيما بعده [illegible] الاعمال
وبلوغ المرام والتمتع بالاهل [illegible]
وانكم قطعتم عنا اخباركم [illegible] منذ مدة مديدة [illegible]
مرارا وما رأينا جوابا نرجوا ان يكون [illegible]
من المحب عبد القادر بن محيي الدين [illegible]
جمادى الثانية ١٢٧٦ [illegible]

مما تقدم يتبين أن الأمير عبد القادر كان دائم الصلة ببواسوني ومتشوقا لمراسلاته. وأن الأمير عبد القادر كان شغوفا بالمطالعة. ومتلهفا لأخبار الشاذلي القسنطيني ولمراسلاته. مثلما تبين هذه المراسلات جانبا من ظروف الأمير عبد القادر. وبعض لأسماء لأفراد أسرة الأمير.

وبرغم أن المرسلات هذه تبدو شكلية لأنها اقتصرت على المجاملات والأمور الشخصية؛ لكنها تكشف جوانب خفية في نفسية الأمير. وتتضمن حقائق تاريخية وتبين شيئا من معاناة الأمير عبد القادر